

الحب أعمى

يقول المثل العربي " الحب أعمى " و " القرد في عين أمه غزال " . لكن في الحقيقة ليس كل حب أعمى، وليس كل أم ترى ابنها غزالاً، حتى وإن كان يشبه القرد. أما إذا وصلت الأمور إلى الحد الذي يجعل الحب أعمى، فمعنى ذلك أن المُحب يفقد قدرته على الرؤية السليمة، ويستعيز عنها بإحساسه الذي يخطئ أحياناً ويميل دوماً إلى المبالغة. وإذا أصبحت الأم لا ترى في ابنها القرد سوى غزالاً جميلاً، فمعنى ذلك أنها فقدت القدرة على رؤية الأشياء على حقيقتها، وأصبحت تستعيز عن الحقيقة بخيال لا يمت لواقع الحياة بصلة.

حين يصبح الحب أعمى تنعدم قدرة المُحب على الرؤية، ويغدو غير قادر على رؤية أي شيء في الحبيب سوى الكمال والجمال، كمالات بلا نواقص، وجمالاً بلا عيوب. وعلى عكس الحبيب الذي يعيش حبا أعمى، يعيش من يكره الآخر حقداً أعمى، لا يرى في الشخص الذي يكرهه سوى العيوب والنواقص. وهذا يجعل الحب والكراهية وجهان مختلفان لعملة واحدة، أو شعوراً إنسانياً واحداً ذا وجهين متناقضين تماماً، يرتبطان مع بعضهما البعض من خلال داء العمى.

المتيم في الحب، والغارق في بحور الحقد والكراهية هما شخصان بعيدان عن الواقعية والموضوعية، مما يجعل حكمهما على الأشياء أمراً مشكوكاً في مصداقيته وصحته، وحتى عقلانيته. فوجه الكراهية يكون مصبوغاً دوماً بطلاء أسود قائم يحول دون تسرب النور ورؤية الأشياء على حقيقتها، ووجه الحب الأعمى مصبوغ دوماً بطلاء زهري حالم، يرى القمر شمساً وسواد الليل حلماً جميلاً بلا نهاية.

وجه الكراهية لا يتيح لصاحبه رؤية الضوء في وضوح النهار، لأن سواد العمى يسيطر على كل حواسه، ويحول قلبه إلى حظيرة قدرة تخترن الحقد، ولا تترك لديها مكاناً للحب أو للحنان أو للتسامح. وهذا يجعل عمى الكراهية معول تدمير يهدم كل ما في الإنسان الحاقداً من خير وجمال وقدرة على البناء، ويقوده إلى تدمير الذات قبل الآخر. عمى الكراهية يأخذ الإنسان في رحلة عاصفة، يفيق منها وقد فقد سنوات عمر غالية لا يعوض، وخسر أصدقاء كانوا ذخراً لا يقدر بثمن، وكسب جروحاً في القلب والعين لا تندمل.

أما الحب الأعمى فهو سراب جميل ملون بكل ألوان الطيف الساحر، تصنعه نار الشوق المشتعلة في العين، وتغذيه مشاعر فياضة لا تتوقف عن الإبحار في الحلم. وهذا يجعل القلب لا يسمع غير أنات الحبيب، ولا يشعر إلا بسحر العشق، ولا يتذوق سوى نار القيل، مما يقود إلى إفراغ العقل من عقلانيته وإبعاده عن موضوعيته. ومن خلال انشغال العين والقلب بسراب الحب، ينسى العقل واجبات الحياة وتحدياتها. عمى الحب يأخذ الإنسان المتيم في رحلة شوق حاملة، يفيق منها وقد كسب ساعات عشق رائعة وذكريات جميلة لا تعوض، على حساب سنوات عمر لم تعش عمرها.

عمان: مارس 2007